﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: 11 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

اللـه تعـالى كـافٍ نبيَّهُ أذى المشركين

لمّا قرَّر تعالى أنَّ أكثر الخلق يوافي يومَ القيامة على كُفره ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ - وكان ذلك ممّا يهمُّهُ ﷺ؛ لشفقتِه على الخلق، ولِما يَعلمُ من نصبِهم للعداوة - هوَّنَ أمرَهُم عليه، وحقَّر شأنَهم لديه بوَعدِهِ بالكفاية فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[1].

وثمَّة وجهُ مناسبةٍ آخر، وهو أنه لمّا جرَى ذِكرُ الكافرين وما يَلقاهُ الرَّسول ﷺ منهم وأمره بالصبر؛ انتقلَ الكلامُ إلى ذِكر زعيمٍ من زعماء الكافرين ومُدبِّرِ مطاعنِهم في القرآنِ ودعوةِ الرَّسول ﷺ[2].

المـالُ والـولـدُ أساسُ الطُّغيان

ولمّا كان سببُ الطغيان للإنسان المُكنةَ الَّتي أهمُّها المالُ؛ قال تعالى شأنه: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾[3]، وأتبعَها بالحديث عن نِعمة الولد؛ لأنَّ الولد أوَّلُ ما تطمحُ إليه النَّفسُ بعد كثرةِ المال[4].

ولمّا كان ما سبق كنايةً عن سَعَةِ الرِّزق وعِظَم الجاهِ، وكان مَنْ بُسِطَ له في المال والولد والجاه تتوقُ نفسُهُ إلى إتمام ذلك بالحفظِ والتَّيسير؛ ذكَّرَ سبحانه بنِعَمِه، فقال: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾[5].

ولأنَّ ما خوَّله إيّاه سبحانه من المال والولد قد أورَثهُ البَطَرَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 47.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 302.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 48.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 49.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 49.

والاستكبارَ على الحقِّ ﷻ، وهو ضدُّ ما كان ينبغي له من الشُّكر؛ أكَّد سبحانه أنَّهُ هو الَّذي وهبَ له ما وهبَ، وأنكرَ عليه طلبَ المزيد[1].

ولمّا كان طمَعُهُ في الزّيادة طلبًا للشَّرف والعظمة؛ زجَرَهُ تعالى عن ذلك، وحقَّقَ أنَّهُ لن يتمَّ له[2]، وتبعَ ذلك قولُه تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ لبيان عاقبةِ هذا الكافرِ في الآخرةِ بعد زَجرِه عن طلب الزّيادة[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَحِيدًا﴾: (وحد) أصلٌ يدلُّ على الانفراد[4]، ومن ذلك يقال: فلانٌ واحدُ دهرِه، أي: لا نظيرَ لهُ، وأوحدَهُ اللّه: جعلَهُ واحدَ زمانِه[5]، والواحد في الأصل: الشَّيءُ الَّذي لا جزءَ له البتَّة، ثمَّ يُطلق على كلِّ موجود، حتَّى إنَّه ما من عددٍ إلّا ويصحُّ أن يوصف به، فيقال: عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحد[6]. والمراد بكونه وحيدًا هنا: أنَّهُ لا مال له ولا ولد[7].

2) ﴿مَّمْدُودًا﴾: (مدد) أصلٌ يدلُّ على جَرِّ شيءٍ في طولٍ، واتِّصالِ شيءٍ بشيءٍ في استطالةٍ، فيزيدُهُ طولًا واستمرارًا أو قَدْرًا، ومدَّ النَّهْرَ نَهْرٌ آخرُ: زادَ فيهِ وواصَلَهُ، والمِدادُ: ما يُكتَبُ بهِ؛ لأنَّهُ يُمَدُّ بالماءِ ونحوِهِ[8]، ورجلٌ مَديدُ القامةِ، أي: طويلُ القامةِ[9]. وقوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: 9] معناه: في عَمَدٍ طِوالٍ[10]. والمرادُ بالمال الممدود: الكثيرُ الواسع[11].

3) ﴿شُهُودًا﴾: (شهد) أصلٌ يدلُّ على الحضورِ والعِلمِ والإعلام[12]، ومن ذلك: المشهد، وهو مَجمَعُ النّاس[13]، والشُّهودُ، والشَّهادةُ: الحضورُ معَ المشاهدةِ؛ إمّا بالبصَرِ، أو بالبصيرةِ، وقد يُقال للحضور دون مشاهدة، قال اللّه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 50.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 50 - 51.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 51 - 52.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وحد).
(5) الرازي، مختار الصحاح: (وحد).
(6) الراغب، المفردات: (وحد).
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 70.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مدد).
(9) الجوهري، الصحاح: (مدد).
(10) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (مدد).
(11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 265.
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).
(13) الخليل، العين: (شهد).

[الأنعام: 73][1]، والشَّهادةُ أيضًا: قولٌ صادرٌ عن عِلمٍ حصلَ بمشاهدةِ بصيرةٍ أو بصرٍ[2]، والمرادُ بالبنينَ الشُّهودِ هنا: أنَّهم حضور، لا يغيبون عنه في تصرُّف[3].

4) ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ - ﴿تَمْهِيدًا﴾: (مهد) أصلٌ يدلُّ على توطئةٍ وتسهيلٍ للشَّيء[4]، ومن ذلك: المهد، وهو الموضع يُهيَّأ للصَّبيِّ ويوطَّأ لينامَ فيه[5]، والتَّمهيدُ: التَّهيئة والتَّسوية والإصلاح[6]، والمهدُ والمِهاد: الفِراشُ والمكانُ الموطَّأ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: 53]. ومعنى ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾: بسطتُ له في العيش بسطًا[7].

5) ﴿يَطْمَعُ﴾: (طمع) أصلٌ يدلُّ على رجاءٍ في القلب قويٍّ للشَّيء[8]، ونُزوعِ النَّفس إلى الشَّيء شهوةً له[9]، ومن ذلك: تطميعُ القطر حين يبدأ فيجيء منه شيء قليل، سُمّيَ بذلك، لأنَّه يُطمِعُ بما هو أكثرُ منه[10]، والأطماع: أرزاقُ الجُند[11]؛ لنزوعِ أنفسهم إليها. ومعنى ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: ثمَّ يرجو أن أزيدَهُ في المالِ والولد[12].

6) ﴿عَنِيدًا﴾: (عند) أصل يدلُّ على ترك طريق الاستقامة[13]، ومن ذلك يقال: دمٌ عاندٌ، أي: يسيل جانبًا[14]، والمعاندة: أن يعرف الرَّجلُ الشَّيءَ، ويأبى أن يقبله[15]، والعنيد: المُعجَبُ بما عنده، والمعاند: المباهي بما عنده، قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق: 24][16]. والمراد بالعنيد هنا: المكذِّب بالآيات والكافرُ بها[17].

(1) الراغب، المفردات: (شهد).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (شهد).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 72.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مهد).
(5) الخليل، العين: (مهد).
(6) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (مهد).
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 72.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمع).
(9) الراغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (طمع).
(10) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (طمع).
(11) الخليل، العين: (طمع).
(12) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 72.
(13) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عند).
(14) الأزهري، تهذيب اللغة: (عند).
(15) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عند).
(16) الراغب، المفردات: (عند).
(17) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 265.

7) ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾: (رهق) أصلٌ يدلُّ على غَشَيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ[1]، ومن ذلك يقال: رَهَقَهُ الأمرُ، أي: غَشيَهُ بقهرٍ، قال تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: 27][2]، ورَهَقَ فلانٌ فلانًا: تَبِعَهُ فقاربَ أن يلحقَهُ، وأرهقَهُ عُسرًا، أي: كلَّفه إيّاه[3]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: 73]. والمراد بالإرهاق هنا: إتعابُهُ وتحميلُهُ ما لا يطيق[4].

8) ﴿صَعُودًا﴾: (صعد) أصلٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومشقَّة[5]، ومن ذلك: الصُّعود، وهو الذَّهاب في المكان العالي[6]، قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: 125]، والإصعادُ: الإبعاد في الأرض، والصَّعودُ: العقبة، والأمر الشّاقُّ[7]. والمراد به هنا: المشقَّة أو صخرةٌ أو جبلٌ في جهنَّم[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

انـقـلابُ حـالِ الوليد بن المغيرة من الـرَّخـاءِ إلى الشِّدَّة

يقولُ تعالى ذِكرُه لنبيِّه ﷺ: كِلْ إليَّ أمرَ الَّذي خلقتُهُ في بطن أمِّه وحيدًا، لا شيءَ له من مالٍ ولا ولدٍ، وهو الوليدُ بن المغيرة، وجعلتُ له مالًا كثيرًا واسعًا، وجعلتُ له بنينَ يحضرون أمامَهُ ويأنسُ برؤيتهم، أو يحضرون مجالسَ القوم، وبسطتُ له في العيش بسطًا، ثمَّ يأملُ ويرجو أنْ أزيدَهُ من المال والولد على ما أعطيتُهُ، ولن يكون ما يأملُ ويرجو، إنَّه كان معانِدًا لآياتنا ومكذِّبًا بها، سأكلِّفه مشقَّةً من العذاب لا راحة له منها، أو أكلِّفه صُعودَ جبلٍ في النّار[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رهق).
(2) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (رهق).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (رهق).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صعد).
(6) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، والأزهري، تهذيب اللغة: (صعد).
(7) السمين، عمدة الحفاظ: (صعد).
(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 266.
(9) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 19 - 23.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآية عمّا قبلَها:

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ كلامٌ مستأنَفٌ جيء به؛ للتَّنبيه على أسباب هلاك الكفَرة الَّتي أعظمُها الغرور[1]، ولتعليل الأمر بالصَّبر ببيانِ أنَّ الله يتولَّى جزاءَ الكافرين[2].

الـغـرور أعـظـمُ أسباب الهلاك

دلالةُ الأمرِ في ﴿ذَرْنِي﴾:

الأمرُ في قولِه ﷻ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ للوجوبِ، وفيهِ تنبيهٌ لهُ ﷺ على ضرورةِ تفويضِ أمرِ معاقبةِ الوليدِ للّه ﷻ، وعدمِ الاكتراثِ بأقوالِهِ وأفعالِهِ.

مَـنْ سلَّم أمره لله كفاه

سرُّ تصديرِ الآيةِ بـ﴿ذَرْنِي﴾:

تصديرُ الآية بفعل ﴿ذَرْنِي﴾ إيماءٌ إلى أنَّ الرَّسول ﷺ كان مهتمًّا ومغتمًّا ممّا اختلقه الوليد بن المغيرة، فاتِّصالُ الآية بقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ يزداد وضوحًا[3].

بلاغةُ الكناية أو الاستعارة في الآية:

قولُهُ تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ فيهِ كنايةٌ بديعةٌ، وذلكَ أنَّ الرَّجلَ إذا عرفَ مِنْ صاحبِهِ أنَّهُ مغمومٌ بأمرٍ يريدُ أنْ يُكفاهُ، أو بعدوٍّ يشتهي أنْ ينتقمَ لهُ منهُ، وهو مضطلعٌ بذلكَ مقتدرٌ عليه؛ قالَ: ذَرْني وإيّاهُ، وليسَ هناكَ منعٌ حتى يطلبَ إليهِ أنْ يَذَرَهُ وإيّاهُ إلّا ترك الاستكفاءِ والتَّفويضِ، كأنَّهُ إذا لم يَكِلْ أمرَهُ إليهِ، فكأنَّهُ منعَهُ منهُ، فإذا وكلَهُ إليهِ فقد أزالَ المنعَ، وتركَهُ وإيّاهُ. والكلامُ وعيدٌ محضٌ[4]، وتهديدٌ شديدٌ، أي: دَعْني وإيّاه، فسترى ما أصنعُ به، وهي كلمةٌ

مَنْ وقاهُ الله شرَّ عدوِّهِ فازَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 47.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 302 - 303.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 303.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 394، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 391.

يقولُها المغتاظ إذا اشتدَّ غيظه وغضبه، وكره أنْ يُشفَعَ لمن اغتاظَ هو عليه؛ فمعنى الكلام: لا شفاعة في هذا الكافر[1].

ويحتملُ أنْ يكونَ الكلامُ استعارةً تمثيليَّةً، شُبِّهَتْ حالةُ كفايةِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ والانتقامِ مِنْ أعدائِهِ بالهيئةِ المنتزَعةِ مِنْ شخصٍ ذي شَوْكةٍ وقدرةٍ وإعانةٍ، وشخصٍ آخرَ استولى عليه عدوُّهُ، فقالَ لهُ: ذَرْني ومَنْ عاداك وحدي؛ فإني أكفيكَهُ، فذُكِرَ اللَّفظُ المركَّبُ الموضوعُ للمشبَّهِ بهِ وأُريدَ المشبَّهُ[2].

معنى الواوِ في ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾:

جـزاءُ المكـذِّبينَ بيدِ الله

انتصبَ ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ على المفعولِ معَهُ، والواوُ واوُ المعيَّةِ[3]، والكلامُ واردٌ على سبيلِ الكنايةِ أو الاستعارةِ كما تقدَّمَ، وإلّا فلا معنى لتركِ اللّه تعالى مع المكذِّبينَ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ (مَن):

كفرانُ الوليد بن المغيرة بالنِّعَمِ أورثه النقم

جيء بالموصول وصِلته في قوله: ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ لإدماجِ تسجيلِ كُفْرانِ الوليدِ النِّعمةَ في الوعيدِ والتَّهديدِ[4]، ولاستحضارِهِ بالصِّفة الَّتي كان عليها في أوَّلِ أمرِهِ قبل أن يمنَّ اللّه تعالى عليه بالمال والبنينَ والجاه. فالمراد بالموصول معهودٌ وإن كان النّاس خُلقوا مِثلَ خلقه، وإنما خُصَّ بالذِّكر لاختصاصه بكفر النِّعمة وإيذاء الرَّسول ﷺ[5].

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿خَلَقْتُ﴾:

عُبِّرَ بصيغة الماضي في قوله ﷻ: ﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ للدَّلالة على

(1) السهيلي، الروض الأنف: 3/ 20.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 413.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 563.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 303.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 70 - 71.

تحقُّق هذا الخَلق وحصوله، بحيث لا يُرتاب فيه، وذلك أدخلُ في ذمِّ الوليد بن المغيرة ومَن هو على شاكلته، وتقريعِه.

بلاغةُ الحالِ ﴿وَحِيدًا﴾:

الخالقُ الواحدُ كافٍ في الانتقام ممَّن عصاه

الوحيدُ: المنفرد عن غيره في مكانٍ أو حالٍ ممّا يدلُّ عليه سياق الكلام، والظّاهر أنَّ قوله: ﴿وَحِيدًا﴾ حالٌ من الخالق، أو حالٌ من المخلوق، وكونُهُ حالًا من الخالق على وجهين: **الأوَّل**: ذَرْني وحدي معه؛ فإنّي كافٍ في الانتقام منه. **والثّاني**: خلقتُهُ وحدي، لم يَشْرَكْني في خلقِهِ أحدٌ.

تكبُّر مَن كان وحيدًا فريدًا على الحقِّ وأهلِه أمارةُ النُّكران

وأمّا كونُه حالًا من المخلوق فعلى معنى أنّي خلقتُه حالَ كونِه وحيدًا فريدًا، لا مالَ له ولا ولدَ[1]، وفي ذلك مزيدُ تسجيلٍ عليه بجحودِ النِّعَم، وتغييرٌ للكلامِ عن غرض المدحِ والثَّناء الذي كانوا يخصّونه به إلى غرض الافتقار إلى اللّه الَّذي هو حالُ كلِّ مخلوق، فتكون الجملةُ من قبيل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: 78][2].

وذُكِرَ أنَّه كان يُلقَّب في قومه بالوحيد؛ لتوحُّده وتفرُّده باجتماع مزايا له لم تجتمع لغيره من طبقته، وهي كثرةُ الولد وسَعَةُ المال، ومجدُهُ ومجدُ أبيه من قبله، وكان مرجعَ قريش في أمورها؛ لأنَّهُ كان أسنَّ من أبي جهل وأبي سفيان، فكان هذا الكلامُ إيماءً إلى الوليد بن المغيرة المشتهر به[3]، وهو تهكُّمٌ به وبلقبِهِ، وصرفٌ له عن الغرض الذي يقصدونه من مدحه إلى ذمِّه[4].

بلاغةُ عطفِ ﴿وَجَعَلْتُ﴾:

هبةُ المال للعبد من اللّه دليلٌ على افتقار العبد

لمّا أفاد قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ افتقارَ الوليد بن

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 704.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 56، والمراغي، تفسير المراغي: 29/ 130.

المغيرة إلى الله، كحالِ كلِّ مخلوق؛ عطفَ على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ عطفَ الخاصِّ على العامِّ[1]؛ ليُظهرَ صورةً من صور افتقاره إلى خالقه ﷻ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَجَعَلْتُ﴾:

جيء بصيغة الماضي في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾؛ للدَّلالة على تحقُّق هذا الجعل وحصوله، وذلك أنسبُ بمقام التَّسجيل عليه بافتقاره إلى الله تعالى، وأدخلُ في تعداد نِعَمِ الله الثَّابتة عليه، والَّتي لا يَسَعُهُ إنكارُها.

افتقارُ الوليد إلى الله تعالى متحقِّق

معنى اللّامِ في ﴿لَهُۥ﴾:

اللّام في قول الباري جلَّ ذكره: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ للملك، وفيها تنبيهٌ على أنَّ هذا الجَعل لأجله، فينبغي أنْ يُكافئَ النِّعمةَ بالشُّكر لا بالجُحود والإنكار.

غرضُ تقديمِ القيد ﴿لَهُۥ﴾:

قُدِّمَ شبه الجملة ﴿لَهُۥ﴾ على المفعول وصفته ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾؛ للعناية بكون الجَعل متعلَّقًا به، وذلك أوفقُ بتعداد نِعَمِ الله عليه، ولمراعاة ملاءمةِ فاصلةِ الآية لما قبلها.

تمييزُ الوليد بالمال الممدود نعمةٌ تستوجب الشُّكرَ لا الكفر

ويحتملُ أن يكون التَّقديمُ للتَّخصيص، أي: وجعلتُ له لا لغيره من قومِه مالًا ممدودًا، وتمييزُهُ بكثرةِ المال عن سائرِ قومِه يستدعي شُكرَهُ لله تعالى وإيمانَهُ به وبآياته.

نكتةُ تنكيرِ ﴿مَالًا﴾:

تنكير ﴿مَالًا﴾ في قول الباري ﷻ: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ للتَّعظيم، أي: مالًا عظيمًا كثيرًا واسعًا، ويُؤيِّدُ ذلك وصفُهُ بالممدود.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.

بلاغةُ الكناية في وصفِ المالِ بالمَمدود:

سَعَةُ مالِ الوليدِ بنِ المغيرة وكثرته

في وصفِ المال بالمَمدود في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ كنايةٌ لطيفة، وذلك لأنَّ كثرة المال تقتضي امتداده، ويمكن أن يكون استعارةً بأن شبَّه كثرة المال بالشَّيء الممتدِّ بجامع السَّعة والوَفرة.

ويحتمل أن يكون من (مدَّ) الَّذي بمعنى: زادَ في الشَّيء من مِثله، كما يُقال: مدَّ الوادي النَّهر، أي: مالًا مزيدًا في مِقدارهِ ما يكتسبُهُ صاحبُهُ من المكاسب، وكان الوليد من أوسَع قريش ثراءً[1]، وفي الكلام كنايةٌ عن المال الَّذي لا ينقطع رزقه، بل يتوالى كالزَّرع والضَّرع والتِّجارة[2].

نكتةُ عطفِ ﴿وَبَنِينَ﴾:

حظُّ الوليد من ملذّات الدُّنيا عظيمٌ

عطفُ البنين على المال في قوله ﷻ: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الوليد قد أوتيَ من ملذّات الدُّنيا جميعًا، وأنَّ له من نعيم الدُّنيا حظًّا وافرًا؛ فكمالُ نعمة المال بنعمة البنين والعشيرة؛ لأنَّ أوَّلَ ما تمتدُّ إليه النَّفسُ بعد كثرة المال الولدُ، وكان أحبُّ الولد إلى العرب الذَّكرَ[3].

بلاغةُ وصفِ البنينَ بالشُّهودِ:

من نعمِ الله تعالى على الوليد سُروره بقُربِ أولادِه منه

في وصفِ البنينَ بالشُّهود في قوله ﷻ: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ مزيدُ تعظيم لنعمة الله تعالى على الوليد بن المغيرة؛ إذ المرادُ أنَّهم حضورٌ معه مُقيمون بمكة، لا يفارقونه البتَّة؛ لأنَّهم كانوا أغنياء، فما كانوا محتاجين إلى مُفارقته لطلبِ كسبٍ ومعيشة، وكان هو مستأنسًا بهم، لا ينشغلُ بالُهُ بمَغيبهم وخوفِ مَعاطب السَّفر عليهم. أو المرادُ أنَّهم رجالٌ يشهدون معه المَجامعَ والمحافلَ[4]، وكلٌّ من الأمرين من مَباهجِ الدُّنيا وملذّاتها.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 71.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 49.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 684، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 329، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 49، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.

نكتةُ عطفِ ﴿وَمَهَّدتُّ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ معطوفٌ على ما قبله. وفي هذا العطف توسيعٌ لدائرة النِّعَم على الوليد بن المغيرة ببيانِ أنَّ الله تعالى قد سهَّل له سُبُلَ العيشِ وذللها.

غرضُ صيغةِ الماضي في ﴿وَمَهَّدتُّ﴾:

سـوءُ مُعاملةِ الوَليد نِعَمَ الله ﷻ

جيء بصيغةِ الماضي في قول الباري ﷻ: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ التَّمهيدَ قد مضى وتحقَّق، وهو أمرٌ ملحوظٌ لكلِّ مَن يعرفُ الوليدَ، وفي ذلك مزيدُ تسجيلٍ عليه بسوءِ معاملتهِ نِعَمَ الله ﷻ حيث جحَدَ ما يَعرفُ قومُه أنَّهُ من فضل الله تعالى عليه.

نكتةُ صيغةِ التَّفعيلِ في ﴿وَمَهَّدتُّ﴾:

التَّمهيد للوليد حصلَ بالتَّدريج عـلى وجـهِ المبالغة

عُبِّرَ بصيغة التَّفعيل في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾؛ للمبالغة في التَّمهيد، وبيانِ أنَّهُ تمهيدٌ قويٌّ، وللتَّنبيه على أنَّهُ قد حصلَ بالتَّدريج[1]؛ أي: هيَّأتُ له، وقدَّمتُ له مقدِّماتٍ استدراجًا له[2].

براعةُ الاستعارة في لفظ التَّمهيدِ:

تـيَـسُّـرُ أمـورِ الـولـيـد ونَـفـاذُ كلمتِهِ في قومه

المَهدُ في الأصل: تسويةُ الأرض وإزالةُ ما يقضُّ جنبَ المُضطَجع عليها، والتَّمهيدُ في قولهِ ﷻ هنا: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ مُستعارٌ لتيسير أموره، ونَفاذِ كلمتهِ في قومه، بحيث لا يعسُر عليه مطلبٌ، ولا يستعصي عليه أمرٌ[3]. وفيه إشارةٌ إلى أنَّهُ قد بُسِطَ له الجاهُ العريضُ والرّياسةُ في قومه، حتَّى لُقِّبَ ريحانةَ قريش[4].

معنى اللّامِ في القيد ﴿لَهُۥ﴾ وغرضُ تقديمِه:

نعم الله تشمل البر والفاجر

اللّامُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ للملك، وفيها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 49، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.
(2) السهيلي، الروض الأنف: 3/ 20.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 304.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 705، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 56.

إيماءٌ إلى أنَّ هذا التَّمهيد لأجله، وفيه نفعٌ له، وذلك تأكيدٌ لنعمة الله تعالى عليه.

قُدِّمَ شبهُ الجملة ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿تَمۡهِيدًا﴾؛ للاهتمام بكون التَّمهيد متعلَّقًا به، وذلك أنسبُ بسياق تعدادِ النِّعَم، ولمراعاة ملاءمةِ فاصلةِ الآية لِما قبلها.

نكتةُ حذفِ مفعولِ ﴿وَمَهَّدتُّ﴾:

سَعَةُ جاهِ الوليدِ ورئاسته

في قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا﴾ إيجازٌ بحذف المفعول، والتَّقديرُ: وبسطتُ له الرّياسةَ والجاهَ العريضَ[1]، وفي الحذفِ إيماءٌ إلى السَّعَة في التَّمهيد والتَّنعيم. وإنَّما حُذِفَ المفعولُ لظُهوره من السّياق، ولأجل تناغُم الآيات في الوجازة والقِصَر.

فائدةُ التَّعبير بالمفعولِ المطلقِ ﴿تَمۡهِيدًا﴾ منكَّرًا:

جيء بالمفعول المطلق في قول الباري جلَّ من قائل: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا﴾؛ للتَّوكيد، وليُتوسَّل بتنكيره إلى إفادة تعظيمِ ذلك التَّمهيد، والإشارةِ إلى قوَّتِه وسَعَتِه[2].

توجيه العطف بـ﴿ثُمَّ﴾:

الطَّمعُ في الزّيادة عجيبٌ مستبعَدٌ مستنكَرٌ

﴿ثُمَّ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ للتَّراخي الرُّتبي، أي: وأعظَمُ من ذلك أنَّهُ يَطمع في الزّيادة من تلك النِّعَم، وذلك بما يعرف من يُسر أموره، وهذا مُشعِرٌ باستبعاد حصول المَطموع فيه على حالته هذه من عدم الشُّكر، وقد صرَّح بذلك في قوله: ﴿كَلَّآۖ﴾[3]. وفي ﴿ثُمَّ﴾ أيضًا تعجيبٌ من هذا الطَّمع[4] واستنكارٌ له؛ لأنَّهُ يدلُّ على شدَّة حِرصه وتكالُبِه على جمعِ حُطام الدُّنيا[5].

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 413.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 305.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 50، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 305.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 72.
(5) المراغي، تفسير المراغي: 29/ 131.

نكتةُ التَّعبيرِ بالطَّمعِ:

طـلـبُ الـزّيـادة دون تـحـقـيـق شرطها سفاهةُ رأيٍ

عُبِّرَ بالطَّمع في قول الحقِّ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؛ لدلالته على طلب الشَّيء العظيم[1]، وعلى أنَّ الوليد كان يرجو الزّيادة بغير سببٍ يُدلي به إلى الله تعالى ممّا جعله سبحانه سببَ المزيد وهو الشُّكر[2]، وذلك دليلٌ على سفاهة رأيه.

نكتةُ التَّعبير بفعل الطَّمع مضارعًا:

جيء بصيغة المضارع في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ لحكاية الحال الماضية لغرابتها، أو للدِّلالة على أنَّهُ يَطمع على الاستمرار بزيادةٍ مستمرَّة[3].

سرُّ إسنادِ الزّيادةِ إلى ضمير الجلالة:

طـلـبُ الـولـيـد الـزّيـادةَ ممَّن كفرَ به تناقضٌ وسوءُ رأيٍ

جُعل متعلّق طمَع الوليد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ زيادةً ممّا جعل الله له؛ لأنَّهم لم يكونوا يُسندون الرِّزق إلى الأصنام، أو لأنَّهُ طمع في زيادةِ النِّعمة غيرَ متذكِّرٍ أنَّها من عند الله، فيكون إسنادُ الزّيادة إلى ضمير الجلالة إدماجًا، بتذكيرِهِ بأنَّ ما طَمعَ فيه هو من عندِ الَّذي كفرَ هو بنعمَته، فأشركَ به غيرَهُ في العبادة، وذلك من تناقضِهِ وسوءِ رأيه، ولهذه النُّكتة عُدِلَ عن أن يقال: يَطمع في الزّيادة، أو: يطمعُ أن يُزاد[4].

نكتةُ حذفِ مفعولِ ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾:

جـشَـعُ الـولـيـد قَـبـيـحٌ وطـمَـعُـهُ بشعٌ

حُذِفَ متعلّق الزّيادة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾، فلم يُقَلْ: أن أزيدَ من كذا؛ لظُهورِه من السّياق، وهو أنَّهُ يَطلبُ الزّيادةَ من المال والبنين وسَعَةِ العيش ونحو ذلك، وفي حذفِهِ تنبيهٌ على غاية جشَعِ الوليد، وكأنَّ همَّهُ الاستكثارُ من كلِّ شيءٍ من متاع الدُّنيا وملذّاتها.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 305.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 50.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 415.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 305.

عِلَّةُ فصلِ قوله تعالى: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾:

مَتاعُ الدُّنيا زائل، والطّامعُ فيه جاهل

لمّا كان تقديرُ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: إنَّهُ لَيَطْمع في ذلك؛ لأنَّ المال والجاه يَجُرّان الشَّرفَ والعظمةَ بأيسَرِ سعي؛ استأنفَ زجرَهُ عن ذلك بمَجامع الزَّجر، فقال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾[1].

معنى ﴿كَلَّآۖ﴾:

زيادةُ نِعَمِ الكافرين فتنةٌ للمُعاندين

لفظ ﴿كَلَّآۖ﴾ للرَّدع والإنكار التَّوبيخيِّ مع التَّنبيه على الخطأ[2]. ووروده في قوله تبارك شأنه: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ لرَدعِ الوليد بنِ المُغيرة عن طمَعه في الزّيادة من النِّعَم[3]، وإبطالِ هذا الطِّمع، وقطعِ رجائه منه. والمقصودُ إبلاغُ هذا إليه مع تطمينِ النَّبيِّ ﷺ بأنَّ الوليد سيُقطَعُ عنه مددُ الرِّزق؛ لئلّا تكون نعمته فتنةً لغيره من المُعاندين، فيغريَهم حالُه بأنَّ عنادَهُم لا يضرُّهم؛ لأنَّهم لا يظنّون أنَّ هناك حياةً بعد هذه الحياةِ الدُّنيا[4].

علَّةُ فصلِ جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾:

كُفرانُ النِّعمة سببٌ للحرمان والنِّقمة

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ عمّا قبله؛ لِما بينَهُما من شبه كمالِ الاتِّصال؛ لأنَّهُ تعليلٌ للرَّدع على وجهِ الاستئناف، كأنَّ قائلًا قال: لمَ لا يُزاد؟ فقيل: لأنَّهُ كان لآياتنا عنيدًا[5]. وفي ذلك تنبيهٌ على أنَّ مُعاندةَ آياتِ المُنعِم مع وُضوحِها، وكُفرانَ نعمته تعالى مع سُبوغِها؛ ممّا يوجِبُ حِرمانَ الوليد بالكلّيَّة، وإنَّما أوتيَ ما أوتيَ استدراجًا[6].

ويجوز أن تكون الجملة مستأنفةً استئنافًا ابتدائيًّا، ويكون الوقفُ عند قوله تعالى: ﴿كَلَّآۖ﴾[7].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 50 - 51.
(2) قباوة، المفصل في شرح الجلالين: ص 2040.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 260، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 563.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 305.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 705، والسّمين، الدر المصون: 10/ 542.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 57.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306.

براعةُ التَّوكيدِ بـ(إنَّ):

أُكِّدَ قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ بـ (إنَّ)؛ للاعتناء بمَضمونه، وبيانِ أنَّهُ أمرٌ قد تحقَّق صُدورُه منه، ولذلك استوجبَ قطعَ زيادةِ النِّعَمِ عنه.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿كَانَ﴾:

رسوخُ الوليدِ في الكُفرِ والمُحاربة لآياتِ الله

الإتيانُ بـ ﴿كَانَ﴾ في قوله جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ الوليدَ من قديم الزَّمان كان على العِناد لآياتِ اللهِ[1]، حتَّى كأنَّهُ جِبلَّةٌ له وطبعٌ لا يقدرُ على الانفكاكِ عنه[2]، وذلك أدخلُ في ذمِّهِ وتعليلِ قطع الزّيادة عنه.

معنى اللّام في ﴿لِـَٔايَٰتِنَا﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ للتَّعدية، فتُفيدُ تعلُّقَ العِنادِ بآياتِ الحقِّ ﷻ، وفي ذلك ما لا يخفى من القُبحِ والشَّناعة.

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ الآياتِ مجموعًا:

إنكارُ الوليدِ لجميعِ آياتِ الحقِّ ودلائله

جمعُ الآيات في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾؛ للإشارة إلى كثرتها وتعدُّدِها، وأنَّ الوليد كان مُعاندًا لجميع الآياتِ والدَّلائلِ الدّالَّةِ على التَّوحيدِ والعدلِ والقُدرةِ وصِحَّة النُّبوَّة والبعث، وكان هو منازعًا في الكلِّ، مُنكِرًا للكلِّ[3].

فائدةُ إضافةِ الآياتِ إلى ضميرِ العظمةِ:

إضافةُ الآيات إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿لِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لإفادةِ تعظيمِها وتفخيمِها؛ لكونها هاديةً إلى الوحدانيَّة، وفي ذلك مزيدُ تقبيحٍ لكُفرِ الوليد بها وإنكارِهِ لها[4].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 705.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 51.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 705.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 51.

غرضُ تقديمِ القيد ﴿لِّآيَٰتِنَا﴾:

غايةُ الخُسران تخصيصُ آيات اللـه تعالى بالنُّكران

تقديم شبه الجملة ﴿لِّآيَٰتِنَا﴾ على ﴿عَنِيدًا﴾ لتعجيل ما هو مَدارُ الذَّمِّ والتَّقبيح وقَطعِ الأمل في الزّيادة[1].

ويحتملُ أن يكون التَّقديمُ لإفادة أنَّ تلك المعاندة منه كانت مختصَّةً بآيات اللّه تعالى وبيِّناته، والتَّقدير: إنَّهُ كان لآياتنا عنيدًا لا لآياتِ غيرنا، فتخصيصُهُ هذا العنادَ بآياتِ اللّه مع كونهِ تاركًا للعناد في سائر الأشياء يدلُّ على غاية الخُسران.

نكتةُ صيغةِ (فعيلٍ) في ﴿عَنِيدًا﴾:

عنادُ الوليد للحقِّ شديدٌ

﴿عَنِيدًا﴾ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِّآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ بمعنى المُعاند، كالجليس بمعنى المُجالس، والإتيانُ بصيغة (فعيل) للمبالغة في عِناده، والمعنى: إنَّهُ كان بالغَ العِنادِ على وجهٍ لا يُعَدُّ عنادُهُ لغيرها بسببِ مزيد قُبحِهِ عنادًا[2]. وعِنادُه هو محاولتُهُ الطَّعنَ في القرآن، وتحيُّلُهُ للتَّمويه بأنَّهُ سِحرٌ أو شِعرٌ أو كلامُ كهانةٍ، مع تحقُّقِهِ بأنَّهُ ليس في شيءٍ من ذلك[3].

نكتةُ فصلِ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾:

وعيدُ الوليد مُعجَّلٌ

فُصِلَ قوله سبحانه: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ استئنافٌ لبيان عقابِ الوليد بعد بيانِ عِناده لآيات اللّه[4]، فكأنَّ سائلًا سأل: ما كان عِقابُه بعد سوء عِناده؟.

ويحتملُ أن تكون جُملة ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ معترضةً بين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِّآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ وبين ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، قُصِدَ بهذا الاعتراض تعجيلُ الوعيد له مَساءةً له، وتعجيلُ المسرَّة للنَّبي ﷺ، وجملةُ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ مبيِّنةٌ لجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِّآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾، فهي تكملةٌ وتبيينٌ لها[5].

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 416.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 51.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 51.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306.

دلالةُ السّينِ والمضارعِ في ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾:

جيء بالمضارع المُصدَّر بالسّين في قوله ﷻ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾؛ للدِّلالة على أنَّ الإرهاق سيقع في المستقبل، وأنَّهُ أمر مؤكَّد لا شكَّ فيه ولا ارتياب.

نكتةُ التَّعبيرِ بالإرهاقِ:

لمّا كان العنادُ غلظةً في الطَّبع وشكاسةً في الخُلُق، ويوجبُ النَّكدَ والمشقَّةَ؛ جُعِلَ جزاؤُهُ من جنسه[1]؛ فعُبِّرَ بالإرهاقِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾؛ للدَّلالةِ على الإتعابِ وتحميلِ ما لا يُطاق[2]، وفي ذلك ما لا يَخفى من الوَعيد الشَّديد الَّذي تطيشُ لهَوْلِهِ العقولُ، وتخلعُ له القلوبُ.

عاقبةُ الجاحدِ هي التَّعبُ الشَّديدُ الَّذي لا يُطاق

بلاغةُ الاستعارةِ في جُملة ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾:

يحتملُ قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أن يكون استعارةً تمثيليَّةً لِما يَلقى من الشَّدائد[3]، شُبِّهَ ما يَسوقهُ اللّه له من المصائب بتكليف الصُّعود في الجبال الوَعرةِ الشّاهقة، وأُطلِقَ لفظُهُ عليه[4]. وهذا تمثيلٌ لضدِّ الحالة المجمَلة في قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾، أي: سينقلبُ حالُه من حالِ راحةٍ وتنعُّم إلى حالةٍ سيِّئةٍ في الدُّنيا، ثمَّ إلى العذابِ الأليم في الآخرة، وكلُّ ذلكَ إرهاقٌ له[5].

ما يَلقاهُ الوليدُ من الشَّدائد بمنزلة صُعودِ الجِبال الوَعرةِ الشّاهقة

ويحتمل أن يكون المراد أنَّهُ سيُكلَّفُ صُعودَ عَقَبةٍ في جهنَّم اسمُها الصَّعودُ، مسيرُها سبعون سنةً، يُكلَّف الكافرُ أن يصعَدَها، فإذا صعدها بعد عذابٍ طويل صُبَّ من أعلاها، ولا يتنفَّس، ثمَّ لا يزالُ كذلك أبدًا[6]، وعلى هذا فلا يكونُ الكلامُ من قبيل التَّمثيل.

الصَّعودُ جبلٌ في جهنَّم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 51.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 260.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 353.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306 - 307.
(6) السهيلي، الروض الأنف: 3/ 20، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 51، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306 - 307، وروى أحمد في مسنده عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: رقم الحديث: (11891): «والصَّعودُ جَبَلٌ مِنْ نارٍ يَتَصَعَّدُ فيهِ سَبْعينَ خَريفًا، ثُمَّ يَهْوي بِهِ كَذَلِكَ فيهِ أَبَدًا».

بلاغةُ صيغةِ (فعول) في ﴿صَعُودًا﴾:

صعوبةُ ما سيُقاسيهِ الوليدُ بالغةٌ

الصَّعود في الأصل: العقبةُ الشَّديدةُ التَّصعُّدِ الشّاقَّةُ على الماشي، وهي (فعول) مبالغة من صعد، فإنَّ العقبة صَعْدَة، فإذا كانت عقبةً أشدَّ تصعُّدًا من العقبات المعتادة قيل لها: صَعود، وكأنَّ أصلَ هذا الوصفِ أنَّ العقبة وُصفت بأنَّها صاعدةٌ على طريقةِ المجاز العقليِّ، ثمَّ جُعِلَ ذلك الوصفُ اسمَ جنسٍ لها[1]. وفي التَّعبير بها بيانٌ لشدَّةِ ما يُقاسيه الوليدُ من المشاقِّ في الدُّنيا، أو العذاب في الآخرة.

نكتةُ تنكيرِ ﴿صَعُودًا﴾:

تنكيرُ ﴿صَعُودًا﴾ في قوله جلَّ ذكره: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ للتَّعظيم والتَّفخيم، أي: صَعودًا عظيمةَ الشَّأن، لا يُقادَرُ قَدْرُ هَوْلِها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخلقُ والجَعلُ:

الخَلقُ إيجادٌ للشَّيء من غير مثالٍ سابقٍ

الخَلقُ أصلُه التَّقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشَّيء من غير مثالٍ سابق. والجعلُ له استعمالاتٌ كثيرة، منها تصييرُ الشَّيءِ على حالةٍ دون حالة[2]. وقد عُبِّرَ به في قوله جلَّ من قائل: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾؛ لما فيه من أنَّهُ تعالى جعلَ المال على حالة المدِّ – وهي الزِّيادة والكثرة – دون غيرها من الحالات الَّتي تشير إلى القِلَّة.

(يترك الشَّيءَ) و(يَذَرُهُ) و(يدعه):

الحثُّ على قلَّةِ الاعتدادِ بالوليد

التَّركُ: تخليفُ الشَّيءِ في المكانِ الَّذي هو فيهِ والانصرافُ عنهُ. ويقالُ: يَذَرُ الشَّيءَ، إذا تركَهُ؛ لقلَّةِ الاعتدادِ بهِ. ويَدَعُ الشَّيءَ إذا تركه تركًا فيه راحةٌ وسكون. والتَّركُ جاء منهُ الماضي والمضارع والأمر، والفعلان الآخران جاء منهما المضارعُ والأمر فقط[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 306 - 307.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 404 - 405.
(3) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 766 - 768.

وقيلَ هنا: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ للإشارةِ إلى عدمِ الاعتدادِ بشأنِ الوليد عند تركهِ وتفويضِ أمرِ عِقابهِ للّٰه تعالى.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"